# دقـة النظـر والإمعـان

## في ضابط الكلام

## عند اللغويين

## وعند أهل السنة ومن تبعهم بإحسان

ويليها :

# طليعة التنكيل

بما في تحامل

الدكتور!! جمعة من مَيْنٍ ولَدِّ وأباطيل

# دقــة النظــروالإمعــان

## في ضابط الكلام

## عند اللغويين

## وعند أهل السنة ومن تبعهم بإحسان

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد :

فإن مما لا شك فيه أن العلم الشرعي النبوي قد انتشر أكثر من ذي قبل ولاحت أنواره روضات الصغار فضلا عن دُورِ العلم ومساجد العليم الرحمن وكأن العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ لَمَحَ هذا المعنى فقال في بعض مجالسه العلمية الماتعة المليئة بالدرر والفوائد والهدى والنور : " أنتم الآن في بحبوحة من العلم قبل ثلاثين سنة لم يكن العلم منتشرا بمثل ما هو عليه في وقتنا الحاضر "

- **تعاقب الأجيال على ميراث النبوة وفرحهم بذلك**

قال شيخنا العلامة صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي ـ حفظه الله وسدد خطاه وجعل الجنة مثواه ـ : "...فلم يزل العلم إرثا جليلا تتعاقب عليه الأماثل جيلا بعد جيل ليس لطلاب المعالي هَمٌّ سواه ولا رغبة في مطلوب عداه وكيف لا ؟! وبه تنال سعادة الدارين وطيب العيشين ...وإن مما يملأ النفس سرورا ويشرح الصدر ويمده نورا إقبال الخلق على مقاعد التعلم...فالدروس معقودة والركب معكوفة والفوائد شارقة والنفوس تائقة ،الأشياخ ينثلون درر العلم ،والتلاميذ ينظمون عقده[1] "

- **رحمة المعلمين بالمتعلمين**

وإن من رحمة العلماء الأكابر بالجموع الصاعدة من الطلاب الأخذ بيدهم [2]برفق وإرشادهم إلى حيازة العلم النافع والحرص على عدم [ضياعهم في صحراء الآراء وظلماء

---

[1] كتاب تعظيم العلم ص ( 11 ـ 13 )

[2] بالإفراد الدال على الجمع للقاعدة : المفرد إذا أضيف يعم

الأهواء] (*) ، حتى كان من تمام إكرامهم والتوسع في الإحسان إليهم أن اختاروا لهم برامج تُتبع وسُبلا تنتهج في الطلب والتحصيل فانتقوا لهم كتبا ورسائل [فتكاثرت الدروس العلمية وتوالت الدورات التعليمية](*) ووجد الطلاب بغيتهم عند آباء الروح[3] فقطعوا خرفات التعلم[4] وثمرات العلم ونالوا شأوهم وسُرَّ الجميع [ **بشرف الوجود ونور الأغوار والنجود حلية الأكابر ونزهة النواظر ـ** إنه العلم النافع ـ **لو كان سلعة تباع لبذلت فيه الأموال العظام أو صُعّد في السماء لسمت إليه نفوس الكرام** ][5] ولم يكتف آباء الروح : العلماء الأكابر والأشياخ الأفاضل بذاك الاختيار والانتقاء ، بل بينوا معاني الألفاظ وحلَّلُوها وفككوا العبارات وشرحوها ، فتنوّع عطاؤهم وجودهم في ذلك فمنهم المتوسع المُطنب ومنهم المختصر المقتضب ، وبينهما المتوسط المقتصد وكلهم يَسْبَحُ في أربح المتاجر: العلم النافع والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

- **دقة النظر وإمعان الفكر مع سلامة القصد عند الأكابر من أهل الأثر**

وإن مما استفدناه من أهل الأثر وعلماء الأمة الأكابر دقة النظر و إمعان الفكر فيما أشكل من مسائل العلم ، فتجدهم يصححون ويوضحون بل يتعقبون ويستدركون ويخطئون وينصحون ، فردودهم كما هي دقة وإمعان يعلوها سلطان الحجة والبرهان فلا تخلو من القول الحسن والرفق واللين في البيان من غير تحامل على المنازع المردود عليه ولا

---

(*) ما بين معقوفين من كتاب تعظيم العلم لشيخنا العلامة العصيمي – حفظه الله ورعاه –

[3] قال شيخنا العصيمي في كتاب تعظيم العلم ص 97 : " الشيخ أب للروح كما أن الوالد أب للجسد وفي قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه :" النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم " والأبوة المذكورة في هذه القراءة ليست أبوة النسب إجماعا وإنما هي الأبوة الدينية الروحية فالاعتراف بفضل المعلمين حق واجب "

[4] خرفات التعلم أي : جناها ، والخريف : البستان وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم عند مسلم ـ رحمه الله ـ في فضل عيادة المريض قوله :" ... لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع " وعند الترمذي قوله :" ... وكان له خريف في الجنة "

[5] ما بين معقوفتين من كلام شيخنا العصيمي كتاب تعظيم العلم ص 11 ، دون : إنه العلم النافع

ظلم ولا بهتان وكيف لا ؟! وهم أتباع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، فالرد عندهم لا يقوم على العلم والذكاء فحسب كما هو حال أهل الأهواء الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :" أوتوا علوما ولم يُؤتَوا فهوما ، أوتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاء " بل هو قائم أيضا على الفهم وزكاة النفس والرفق وسلامة القصد مع البعد عن نابي الكلام وشوائب الغل والحقد والحسد والتقول على المنازع والتلبيس والتدليس على المخالف .

وإن من تحقيقات مسائل العلوم ودقائق الفهوم عند أرباب الفنون من أهل الأثر في أصول وفروع وجزئيات العلوم من تعريفات وقواعد واصطلاحات ومعان وتفريعات ما لا يحصيه إلا أربابُ وجهابذةُ ودهاقنةُ الاستقراء ومتتبعوا الجزئيات ومن ذلك أنهم يفرقون بين العقيدة والتوحيد[6] ويقسّمون التوحيد إلى عام وخاص كما أنهم يفرقون أيضا بين العبادة والتوحيد ومتى يتفقان ومتى يفترقان وبين العبادة والطاعة[7] وبين العدل والمساواة ويرون أن

---

[6] وقد ذكرت بعض ما استفدته من علماء الأمة مما حوى وضُمّن الفروق الكائنة بين العقيدة والتوحيد في مؤلف يلي هاته الرسالة يقف عليها القارئ الكريم سميته : " **طليعة التنكيل** ..." استللته من رسالة :" **التنكيل بما في تحامل الدكتور!! جمعة من مين ولدّ وأباطيل** " وهو " **النصر العزيز لما جاء في الرد الوجيز على بعض ما جرى في جلسة بني عزيز** " يسر الله إتمامها وأعانني ـ سبحانه ـ على نشرها . آمين

[7] الطاعة أعم وأوسع من العبادة ، لأن كل عبادة لله تسمى طاعة له سبحانه وتعالى ، وليست كل طاعة لعبد من عباده عبادة لذاك العبد ، ألا ترى أن قول اليهودي لابنه في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري ـ رحمه الله ـ :" ... أطع أبا القاسم ..." فيه طاعة للنبي صلى الله عليه وسلم من غير عبادة له صلى الله عليه وسلم مع عبادة الله وطاعته في الأمر نفسه .

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ :" لو أمرك أبوك بالصلاة فصليت ، فلا تكون قد عبدت أباك بطاعتك له ولكن عبدت الله ؛ لأنك أطعت غير الله في طاعة الله ، ولأن أَمرَ غير الله بطاعة الله وامتثال أمره هو امتثال لأمر الله " القول المفيد بشرح كتاب التوحيد (ص 437 ).

وقد يطيع الإنسان هواه ولا يسمى عابدا للهوى وقد يطيع الشيطان أيضا في معصية الله ولا يسمى عابدا له أما إذا كانت الطاعة في الأمور الشركية فهي عبادة كما أفاد ذلك شيخنا العلامة ابن باز ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ والله أعلم

الإسلام دين عدل لا دين مساواة[8] كما يلهج بعض السياسيين والصحفيين وحتى بعض الخطباء وأئمة المساجد .

كما يَرُدُّ علماؤنا الأجلاء بعض التعاريف ويطرحونها بقوة ويرون أنها باطلة غير صحيحة وهذا في كثير من الفنون والعلوم مع ذيوعها وانتشارها واعتمادها ـ عند الكثيرين ـ في تحمل العلم وأدائه ومن ذلك أن بعض المفكرين والسياسيين بل حتى بعض أهل العلم

---

[8] لا ينكر مسلم عالم بأمور دينه القويم الذي ارتضاه الله لعباده { ورضيت لكم الإسلام دينا } أن الأمة متساوية في تناول الشريعة أفرادها جميعا وأن الشرع عام للرجال والنساء والكبير والصغير والعالم والجاهل ، كما أن التساوي حق متحقق لا سبيل لأحد التنكر له أو إنكاره فيما يسمى بالكليات أو الضروريات الخمس : وهي حفظ الدين والعقل والعرض والنفس والمال بل إن الناس سواء سواسية فيما لا تمايز فيه بينهم كالبياض والسواد والصور والأشكال ...الخ

لكن أن تصبح المساواة شعار الدين القويم الذي بعث به النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، ولابد من اعتبارها في جل إن لم نقل في كل أمر يخص الأمم أو الأمة والأفراد مع إلغاء الفوارق الشرعية حتى بين المسلم والكافر وغض الطرف عن حرمة المسلم التي ميزه الله بها عن الكافر النجس ورفعه عليه درجات حتى قال صلى الله عليه وسلم :" لا يقتل مسلم بكافر" رواه البخاري ، ولا بين الذكر والأنثى والله عز وجل يقول :{ وليس الذكر كالأنثى } ولا بين العالم والجاهل والله عز وجل يقول :{ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } ، بل إن نفي المساواة في بعض الحالات واضح ظاهر بين في ديننا حتى بين أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين حيث قال تعالى رافعا درجة بعضهم على بعض :{ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى } قال شيخنا العلامة الجليل ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ كما في شرح الواسطية ص 189 :" وأخطأ على الإسلام من قال : إن دين الإسلام دين مساواة ! بل دين الإسلام دين العدل وهو الجمع بين المتساويين ،والتفريق بين المتفرقين؛ إلا أن يريد بالمساواة العدل ، فيكون أصاب في المعنى وأخطأ في اللفظ .

ولهذا كان أكثر ما جاء في القرآن نفي المساواة :(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[الزمر : 9]، ( هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ) [ الرعد : 12 ] ، (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ) [ الحديد : 10 ] ، ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله ) [ النساء : 95 ]

ولم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبدا ، إنما يأمر بالعدل،وكلمة(العدل ) أيضا تجدونها مقبولة لدى النفوس . وأحببت أن أنبه على هذا ؛ لئلا نكون في كلامنا إمّعة ؛ لأن بعض الناس يأخذ الكلام على عواهنه ؛ فلا يفكر في مدلوله وفيمن وضعه وفي مغزاه عند من وضعه " اهـ

يرون أن السياسة الشرعية هي : رعاية شؤون الأمة بالكتاب والسنة فقط أي : ما وافق الشرع لا غير وهذا غلط ، قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في " الطرق الحكمية في السياسة الشرعية " أو " الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية " بتحقيق الشيخ حامد الفقي ص 13 : " فإن أردت بقولك (( إلا ما وافق الشرع )) أي لم يخالف ما نطق به الشرع : فصحيح . وإن أردت : لا سياسة إلا بما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة ".اهـ

ثم بين رحمه الله رحمة واسعة في كلام طويل له ، غاية في النفاسة مع دقة الاستدلال وقوة الاستنباط يحسن بطالب العلم أن يقف عليه وينتفع به والله أعلم .

ومن ذلك أيضا أنهم يهتمون بتصحيح وتنقيح بعض الغلط الذي حصل وما زال عالقا ببعض الفنون كالمنطق والأصول والنحو والبلاغة وغيرها ، فتجد في تنبيهات أهل الأثر النافعة ما هو أحلى من العسل وأغلى من العسجد .

ففي فن المنطق وأصول الفقه ينبهون على باطل وفساد بل وضلال بعض التعريفات التي انطوت على شر عظيم يمس حتى بالمعتقد الصحيح والتوحيد الخالص ، ففي تعريفهم للإنسان بالخاصة [9] ، يقولون : الإنسان هو الضاحك. وهذا التعريف عندهم جامع

---

[9] لأن التعريف عندهم ينقسم إلى خمسة أقسام ذكر منها الأخضري الجزائري ـ رحمه الله ـ في السلم ثلاثة حيث قال :

معرّف إلى ثلاثة قُسم *** حدٌ ورسميٌ ولفظيٌ علم

فالحد بالجنس وفصل وقعا *** والرسم بالجنس وخاصة معا

وناقص الحد بفصل أو معا *** جنس بعيد لا قريب وقعا

وناقص الرسم بخاصة فقط *** أو مع جنس أبعد قد ارتبط

وما بلفظي لديهم شهرا *** تبديل لفظ برديف أشهرا

وزاد العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في آداب البحث والمناظرة ما تبقى وهما التعريف بالقسمة والتعريف بالمثال .

**فائدة مهمة :**

أقول ( أبو بكر ) : الحمد لله لقد أراحنا شيخنا العلامة العصيمي من كثير من تفريعات المنطقيين في باب المعرّفات =

مانع أي : جامع لكل أفراد المحدود ، ومانع لكل أفراد غير المحدود ، وهذا يلزم منه عندهم إنكار أن يكون غير الإنسان من الخلق يضحك ، بل لا يضحك إلا الإنسان لأن التعريف جامع مانع على زعمهم الباطل وقد ثبت في السنة الصحيحة على صاحبها الصلاة والسلام أن الملائكة تضحك وأن الشيطان يضحك ،بل إن الخالق سبحانه يضحك[10] لكن ليست الصفة كالصفة أي: ليس الضحك كالضحك فإنه سبحانه وتعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

أسأل الله تعالى أن يُنَقّي جميع الفنون والعلوم مما أدخل فيها من باطل وفساد وضلال وأن يهدي جميع المسلمين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم .

وفي فن النحو تجد بعض النحاة يعرفون الفاعل على خلاف التعريف الصحيح فيقولون : " الفاعل هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله ". وهذا غلط لوجوه منها :

1 ـ أن قول القائل : مات عمرو لا يتفق مع التعريف لأن ( عمرو ) في المثال لم يحدث الموت ، فالموت قائم به ليس واقعا منه[11]

2 ـ الرفع حكم من أحكام الفاعل والأحكام لا تدخل في الحدود

قال في السلم :

وعندهم من جملة المردود    أن تدخل الأحكام في الحدود

= ( التعاريف ) حيث قال : " ومن أحسن ما قيل في بيان حقيقته ( أي : حقيقة الحد ) قول الطوسي في" تجريد المنطق": " هو قول يدل على ماهية الشيء بالذات ". وما يذكر في كتب متأخري المنطقيين من ردّه إلى الخاصة وغيرها لا يبين بيانا شافيا ، وكما يقال إن كلام الأوائل في العلوم النقلية أكمل ، فإن كلام الأوائل في العلوم العقلية أشمل ووقع في مواضعَ عندهم في علومهم مخالفة متأخريهم لما كان عليه متقدموهم من التحقيق فالانتفاع بكتب أوائلهم أفضل ". اهـ

10 ومن شاء التوسع أكثر فليرجع إلى " أخطاء الأصوليين في العقيدة " ص 58 وما بعدها

11 ولمعرفة التعريف الصحيح للفاعل ينظر قطر الندى وبل الصدى للعلامة ابن هشام الأنصاري ـ عليه رحمة الله ـ والله أعلم

وتجد أيضا في بعض كتب النحو تعريفهم للكلام اللغوي بأنه " ما تحصل بسببه فائدة سواء أكان لفظا أم لم يكن كالخط والكتابة والإشارة "[12] وخاصة بعد انتشار كتاب التحفة السَّنية بشرح المقدمة الآجرامية للعلامة الشهير والجهبذ النحرير محمد مُحي الدين عبد الحميد والذي لقي قبولا واسعا في أوساط طلاب العلم في البلاد الإسلامية ـ حرسها الله ـ وما ذاك إلا لوضوح عبارته وظهور إشارته فكان حقا طليعة كافية في علم النحو حيث افتفتح به المبتدئون و الشداة تلقيهم ووجد فيه المتوسطون ما يذكرهم واطلع منه المنتهون على تحقيق مسائل هذا العلم العظيم والفن الجليل ، وانتشر هذا التعريف للكلام اللغوي في حلقات العلم ومجالسه ودوراته بل في البحوث والرسائل والكتب .

وكم جمعتْني من مجالس علمية ولقاءات سُنّية سَنية بإخوان لي في الإسلام والسنة حفظهم الله ورعاهم وسدد خطاهم وجعل الجنة مثواهم يعتمدون هذا التعريف ويدافعون عنه ويقررونه في بحوثهم العلمية ونشاطاتهم الدعوية وكنت أحاورهم رجاء الانتفاع بما تجود به قرائحهم في هذا الفن وغيره ، فرأيي خطأ يحتمل الصواب ورأي غيري صواب يحتمل الخطأ كما كنت في الوقت نفسه أحاول بيان الخطأ ورفع الإشكال الواقع في هذا التعريف معتمدا في هذا كله على ما استفدته ـ والحمد لله ـ من كلام أهل العلم وجهابذة اللغة وكان آخر من التقيته واجتمعت به من هؤلاء الأحبة أحد المجتهدين في الطلب والتحصيل والدعوة إلى الله عزّوجلّ الذي حاولت ـ مع أحد مشايخ بلدتنا ( سطيف ) المجتهدين في

---

12 التحفة السَّنية بشرح المقدمة الآجرامية ص 6 .

**فائدة** : " الآجرامية " بفتح الراء لا بضمها كما اشتُهر على ألسنة الكثيرين من طلاب العلم ، قال شيخنا صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي في التعليقات على المقدمة الآجرامية :" وآجُرّام بفتح الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بلسان بربري هكذا نُطقه ، كما نص عليه أحد علمائهم ، وهو علي بن سليمان الدِّمَنْتِي بـ " أشهر غرة الأنوار " ، ولازال جاريا على لسانهم حتى اليوم ولكنهم صحفوه بلسان العامة البربرية إلى آكرام ومعناه عندهم الرجل الصالح".

قلت : وعليه تصحح العبارة فنقول ـ والله أعلم ـ الآجُرّامية نسبة لابن آجُرّام .

نشر العلم و أداء رسالة المسجد والقيام بواجب الدعوة إلى الله عزّوجلّ ـ إقناعه بأن ضابط الكلام عند اللغويين هو: " **أن يكون نطقا مفهما مشتملا على صوت وحرف** " فلم يقتنع بل ذهب يحتج على ما تشبث به بآية من آيات القرآن الكريم فبعدما انقضى اللقاء الذي شعرنا فيه ـ والحمد لله ـ أن رحم العلم تجمعنا ؛ وبعدَ ...

- **وبعدَ يومين أو ثلاثة :**

وبعد يومين أو ثلاثة وصلتني منه حفظه الله ورعاه وسدد خطاه وجعل الجنة مثواه رسالة قصيرة مضمونها أن الكلام لا يشترط فيه الصوت والحرف ، بل قد يكون مجرد رمز حيث قال فيما أرسله إليّ :" فقد جعل الله الرمز كلام (كذا ) كما في سورة آل عمران " مستدلا على ما ذهب إليه بقوله تعالى :{قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً} [ ال عمران 41] فأردت أن أوضح المسألة ولو بكلمات قليلات مدعمة بكلام أهل العلم ممن يُعتد بقوله ويرجع إليه ، فأقول سائلا الله عزّوجلّ حسن العبارة مع التوفيق :

- **بُعد الاستدلال**

استدلال أخي الكريم –حفظه الله ورعاه– بآية " آل عمران " على أن الرمز كلام استدلال بعيد بل أبعد ما يكون عن لب الموضوع ومحل النزاع وذلك لأن :

**أ ـ الاستثناء في الآية منقطع :**

الاستثناء في الآية الكريمة التي استدل بها أخي الكريم استثناء منقطع غير متصل ، والمستثنى فيها من غير جنس المستثنى منه كما أن الكلام فيها تام منفي ، فتبين أن الرمز في الآية ليس من الكلام كما أن " حمارا " في نحو قولنا :" ما قام القوم إلا حمارا[13]" ليس من القوم

---

13 مثّلت بهذا المثال جريا على ما ألفناه من النحاة في باب الاستثناء

فيجب نصب كلمة " حمار " ـ قولا واحدا ـ كما يجب نصب كلمة رمز في آية "آل عمران" لما سبق ذكره ودونك إعراب الآية :

إلا : أداة استثناء ، ورمزا : مستثنى منقطع واجب النصب لأن الكلام تام منفي، والرمز في الآية ليس من جنس الكلام[14] .

---

[14] وبيان ذلك بالتفصيل أن الاسم الواقع بعد "إلا" له ثلاثة أحوال :

1 ـ وجوب نصبه على الاستثناء إذا كان الكلام تاما موجبا ومعنى كونه تاما أن يذكر المستثنى منه ، ومعنى كونه موجبا أن لا يتقدمه نفي أو شبهه وذلك نحو قولك : قام القوم إلا زيدا فقد ذكر المستثنى منه وهو كلمة القوم والكلام في المثال موجب لعدم تقدم النفي أو شبهه فقد جاء في المثال : قام القوم . لا : ما قام القوم

2 ـ جواز إتباعه لما قبل "إلا" على أنه بدل منه مع جواز نصبه على الاستثناء إذا كان الكلام تاما منفيا نحو قولك : ما قام القوم إلا زيدٌ ، و إلا زيدًا والكلام في المثال تام لذكر المستثنى منه كما أنه منفي لتقدم "ما" عليه ، ومحل جواز الإتباع على البدلية أو النصب على الاستثناء كون الاستثناء متصلا كما في المثال :" ما قام القوم إلا زيدٌ ، إلا زيدًا " وأما إذا كان الاستثناء منقطعا بأن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه (*)كما في آية " آل عمران " التي استدل بها أخي الكريم جزاه الله خيرا وهي قوله تعالى :{ آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا } وكما في مثال مَنْ مَثَّلَ من النحاة :" ما قام القوم إلا حمارًا " فيجب النصب على الاستثناء لا غير والله أعلم.

بعد هذا التقرير النحوي المتين الذي اختصرته من التحفة السنية للعلامة محي الدين ـ رحمه الله تعالى ـ أقول هل يستطيع أخي الكريم ـ حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه ـ في غير القرآن في مثل قول القائل :" لا تكلم الناس إلا كتابة أو خطا أو إشارة " أن يرفع المستثنى ؟فإن كان لا يستطيع وهو الصواب الذي لاشك فيه لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه تبين بطلان ما استدل به ـ أخي حفظه الله تعالى ـ وعليه يكون هذا التخريج والتعليل النحوى كاف في إسقاط ما ظنه ـ أخي حفظه الله تعالى ـ حجة وأن الكلام لابد أن يكون نطقا مفهما كما سيأتي في تعريف الكلام للعلامة ابن فارس في مقاييس اللغة بشيء من التفصيل والله أعلم.

3 ـ وجوب إجرائه على حسب العامل الواقع قبل "إلا" إذا كان الكلام ناقصا ولا يكون في هذه الحالة إلا منفيا ومعنى كونه ناقصا ألا يذكر المستثنى منه ، نحو قولك : ما قام إلا زيدٌ ، وما رأيت إلا زيدًا ، وما مررت إلا بزيد

---

(*) وقد يكون الاستثناء منقطعا ولو كان المستثنى من جنس المستثنى منه على ما ذهب إليه بعض النحاة واستدلوا على ذلك بمثل قول الله تعالى :{لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى } وإن كانت المسألة محل خلاف بينهم فمن شاء التوسع فيها أكثر فليرجع إلى المطولات في ذلك . والله أعلم

## ب ـ الإفادة لا تنحصر في الكلام :

لابد أن يُفرَّق بين مجرد الإفادة التي قد تكون بالكلام وقد تكون بغيره كالرمز والإشارة ونحوهما مما لا يعتبر كلاما و بين الكلام الذي هو حرف وصوت عند أهل التحقيق من اللغويين كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ ، وبهذا نتحاشى الغلط بل الخلط بين مجرد الإفادة وبين الكلام.

قال الشيخ صلاح بن فتيني كنتوش العدني في كتابه " أخطاء النحويين واللغويين في العقيدة " (ص 70) :" اعلم أن القوم أوتوا من قبل تخليطهم بين ما يمكن أن يفيد معنى ما وبين لزوم الإفادة في الكلام المركب ، وذلك أن الإفادة ليست **منحصرة في الكلام واللفظ** فقط بل إن الأفعال المجردة قد تفيد معنى بقرائن معينة وبحسب بعض الملابسات ".

## ج ـ لابد من تحقق الشرط في الكلام وهو الحرف والصوت :

لابد أن يعلم أن الحق الذي عليه أهل التحقيق من اللغويين[15] وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة أن الكلام لا يسمى كلاما إلا إذا تحقق فيه شرطان اثنان وهما الحرف والصوت[16] المفهمان ، فحديث النفس مثلا والرمز الذي عدّه أخي الكريم حفظه الله ورعاه كلاما ، والكتابة و...و... ، كل ذلك لا يسمى كلاما فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به " فلو كان حديث النفس كلاما لبطلت صلاة المصلي فكما أن حديث النفس ليس بكلام فكذلك الرمز والإشارة والكتابة ، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

---

15 كابن فارس وسيأتي تعريفه للكلام ـ بعدُ ـ إن شاء الله تعالى.

16 وحتى الصوت المجرد لا يسمى كلاما ،قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :"وليس مجرد الصوت كلاما"مجموع الفتاوى(م 1/ج4/ص 358)

قال الشيخ كنتوش العدني :" قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" .... وهذا مما اتفق عليه المسلمون[17] ، قال ابن المنذر :" وقد أجمع أهل العلم على أن من تكلم عامدا وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها أن صلاته فاسدة ، والعامد من يعلم أنه في صلاة وأن الكلام محرم ....وأمثال ذلك من الألفاظ التي تتناول الكلام ، **والنحنحة لا تدخل في مسمى الكلام أصلا** ، فإنها لا تدل بنفسها ولا مع غيرها من الألفاظ على معنى ، **ولا يسمى فاعلها متكلما** وإنما يفهم مراده بقرينة **فصارت كالإشارة** ..." انتهى.

قلت : فهذه النحنحة المشتملة على الصوت لا تسمى كلاما على تحقيق وتقرير شيخ الإسلام رحمه الله ، فكيف بالإشارة التي هي مجرد رمز فتأمل. هذا **أولا**.

**ثانيا** : ولو كان الرمز والإشارة كلاما لما أشارت مريم مطلقا ولحنثت على نذرها

لله تعالى ألّا تكلم إنسيا لأنها أشارت إلى ابنها ، فلما تبين أنها لم تحنث بتلك الإشارة تبين أن الإشارة والرمز والكتابة و...و... كل هذه لا تسمى كلاما ، قال الله تعالى :{إِنِّي نذرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26)فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ...} ، واستمرت في نذرها ولم تتكلم بل أشارت **والإشارة ليست كلاما** ، كما سبق بيانه.

والأدلة المانعة من إطلاق لفظ الكلام على ما ليس حرفا وصوتا لا تخفى كثرة ،

فمن شاء التوسع والتبصرة في معرفة ذلك فليرجع إلى كتاب [أخطاء النحويين واللغويين في العقيدة ] المبحث الثاني : بيان بطلان إطلاق لفظ الكلام على غير

اللفظ ص 64 إلى 75 فقد قال فأغنى .

---

[17] أي تحريم الكلام في الصلاة لغير الحاجة

- **هل الإشارة المفهمة ملزمة في الأحكام الشرعية ؟ :**

بعدما تبين أن الافادة لا تنحصر في الكلام فقط ، وبعدما تبين أيضا بصريح القرآن الفرق بين اللفظ والإشارة كما في قوله تعالى ﴿ قالوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ فِي المَهدِ صَبِيًّا﴾ مع قوله تعالى قبلها: ﴿ فَأَشارَت إِلَيهِ﴾ وقوله تعالى في آية "آل عمران"﴿ آيَتُكَ أَلّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ إِلّا رَمزًا ﴾ التي حاول اخي الكريم ـ حفظه الله ورعاه وسدد خطاه ـ أن يجعلها دليلا له على عكس المراد لأن الاستثناء فيها منقطع وهو كلمة "رمز " فهو من غير جنس الكلام كما مر بنا **لأن الله جعل له آية على ما بشر به وهي منعه من الكلام ،مع أنه لم يمنعه من الإشارة فدل ذلك على أن الإشارة ليست من الكلام** بعد هذا كله وغيره مما سياتي ـ إن شاء الله تعالى ـ فهل **تكون الإشارة المفهمة ملزمة في تمشية الأحكام الشرعية وتطبيقها ؟**

أقول والله أعلم :

المسألة : محل خلاف بين العلماء وهي طويلة الذيل كثيرة المنفعة والنيل وقد أطنب وأسهب العلامة الأمين ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن في بيانها وتوضيحها [المجلد 194/4] وما بعدها حيث ذكر أكثر من أربعة عشر دليلا على أن الإشارة المفهمة ملزمة في الأحكام الشرعية وأنها تنزل وتقوم مقام الكلام[18] حتى في الإيمان الذي هو أصل الديانات واحتج لذلك بحديث الجارية عند

[18] لكنها ليست نطقا مفهما ولا كلاما بل تقوم مقامه لا غير ولذلك تجد عبارات العلماء جلّها متقاربة في الإفصاح بذلك من غير تلميح ولا تصريح منهم لا من بعيد ولا من قريب بأن الإشارة أو الرمز نطق مفهم أو كلام وقد تنوعت عبارات الأمين ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ وغيره من العلماء في ذلك فيقولون مثلا :

1. الإشارة تنزل منزلة الكلام

مسلم وأبي داود والنسائي عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس ومعاوية بن الحكم السلمي والشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنهم أجمعين والذي جاء فيه عند قول النبي صلى الله عليه وسلم لها ( الجارية ) [ " أين الله " ؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها فقال لها :" من أنا " ؟ فأشارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى السماء ،يعني أنت رسول الله فقال: " اعتقها فإنها مؤمنة " والظاهر حمل الروايات التي فيها أنه لما قال لها أين الله قالت في السماء من غير ذكر الإشارة على أنها قالت ذلك بالإشارة لأن القصة واحدة والروايات يفسّر بعضها بعضا " ] ( أضواء البيان (195/4).

كما احتج بحديث أنس عند البخاري في مرض موت النبي صلى الله عليه وسلم والذي جاء فيه أن أبا بكر رضي الله عنه تقدم ليصلي بالناس فلما رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم كشف عن الحجاب نكص على عقبيه ليصل الصف ظنّا منه أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج ليصلي بالناس فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن يتقدم ليؤم الناس ففعل رضي الله عنه لفهمه أن الإشارة تقوم مقام النطق[19] إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة والمتنوعة في الدلالة على أن الإشارة تقوم مقام النطق وقد أشرت إليها . والله أعلم.

---

2. الإشارة المفهمة تنزل منزلة الكلام
3. وقد جاءت الأدلة التي تدل على قيام الإشارة مقام الكلام
4. والأحاديث تدل على جواز اعتماد الإشارة المفهمة
5. وأحاديث كثيرة تدل على جعل الإشارة كالنطق
6. فهذه أحاديث دالة على قيام الإشارة مقام النطق في أمور متعددة
7. الفتيا بالإشارة باليد كالفتيا بالنطق ....الخ

[19] مثال ذلك : إذا قالت امرأة لزوجها هل طلقتني ؟ فأشار برأسه أي : نعم فهي طالق بشروط أخرى مذكورة في كتب الفروع .

- **حاصل ما رجّحه الإمام الأمين ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة :**

حاصل ما رجحه العلامة الأمين وما أداه إليه اجتهاده في مسألة الإشارة المفهمة بعد سرده بتوسع لأقوال العلماء فيها ومنهم الأئمة الأربعة مع اختلاف يسير بينهم أن الإشارة المفهمة ملزمة كما أنها تقوم مقام النطق مطلقا بانتفاء شيئين اثنين وهما:

1 ـ عدم الشك في دلالة المقصود من الإشارة مع وضوحها

2 ـ عدم الاكتفاء بالإشارة في الألفاظ الُمتَعبّد بها كأيمان اللعان مثلا لأن الله نص عليها بصور معينة حيث قال عليه رحمة الله :" الذي يظهر لي رجحانه في المسألة : أن الإشارة إن دلت على المعنى دلالة واضحة لا شك في المقصود معها أنها تقوم مقام النطق مطلقا، ما لم تكن في خصوص اللفظ أهمية مقصودة من قبل الشارع فإن كانت فيه فلا تقوم الإشارة مقامه كأيمان اللعان[20] ، فإن الله نص عليها بصورة معينة ، فالظاهر أن الإشارة لا تقوم مقامها وكجميع الألفاظ المتعبد بها فلا تكفي فيها الإشارة ، والله جل وعلا أعلم" [ أضواء البيان(4/ 334) بإشراف الشيخ بكر أبوزيد رحمه الله]

- **تعريف الكلام عند اللغويين :**

قال الشيخ العلامة محمد محي الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ في التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرامية:" أما الكلام اللغوي فهو عبارة عما تحصل بسببه فائدة سواء أكان لفظا أم لم يكن كالخط والكتابة والإشارة "

قال الشيخ محمد الصغير العبدلي المقطري في الحلل الذهبية على التحفة السنية معلقا على كلام العلامة محي الدين رحمه الله تعالى (ص 27) :" ...ولكن هذا التعريف ليس بصحيح وإنما أتى به بعض المبتدعة ليتوصلوا به إلى نفي الصوت والحرف عن كلام ربنا جل شأنه ،

---

20 باستثناء الأخرس فإن للفقهاء فيه كلاما آخر يطلب في مظانه .

وإليك التعريف الصحيح للكلام لغة : قال الإمام ابن فارس رحمه الله تعالى في كتابه مقاييس اللغة (131/5) :

" ...يدل على نطق مفهم......، تقول كلمته أكلّمه تكليما ، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته ..." انتهى بتصرف ".

- **تنبيه واحتراز :**

وأما من جعل الكلام مراتب ودرجات ، أعلاها ما كان نطقا ثم الإشارة ثم الرمز ،...الخ إلى أن نصل إلى الكلام النفسي الذي يجعله الأشاعرة مرتبة من مراتب الكلام فهذا ليس بصحيح لوجوه منها :

**أولا** : أن هذا يتفق مع معتقد الأشاعرة في كلام رب العالمين ، فقد يعترضون على أهل السنة بأن الله قد يَتَكلمُ بمتوسط المراتب أو أدناها ومن ذلك الكلام النفسي ما دام يعدُ كلاما ، فتأمل !.

**ثانيا** : أن هذا يتعارض مع قول مريم عليها السلام {إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا} ثم أشارت إلى ابنها لتستمر في نذرها ولا تتكلم ، فلو كانت الإشارة كلاما لما أشارت لأن الإشارة مرتبة من مراتب الكلام **على الزعم المذكور** فتكون في الأخير قد تكلمت ولو من غير نطق فأين الاستمرار في النذر إذا ؟ وقل مثل هذا في قصة زكرياء ويحي عليهما الصلاة والسلام ، فتبين أن جعل الكلام مراتب ودرجات ظاهر البطلان .

**ثالثا** : أن هذا التقسيم للكلام وجعله مراتب يُصيّر الأخرس متكلما[21] **!! ولا قائل بذلك** قال ابن قدامة في الروضة (82/2 ـ 84 ) :" **وأهل العرف كلهم يسمون الناطق متكلما ومن عاداه ساكتا أو أخرس** " والله أعلم .

نعم لو قيل بهذا الترتيب في القول دون الكلام لصح قال الله تعالى في الكفار :{ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول } كما أن القول قد يكون بالإشارة لأنه أعم من الكلام وسيأتي بحث ذلك بشيء من التفصيل . والله أعلم

- **الكلام عند أهل السنة وعند الأولين والآخرين من أهل اللغة نطق باللسان لا غير:**

قال العلامة ابن أبي العز في كلام نفيس له في شرح الطحاوية بتعليق العلامة الألباني ص 184 وما بعدها :" ويرد قول من قال : بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس : قوله صلى الله عليه وسلم : "إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس[22] وقال : "إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة"[23] ، واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته . واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب ، لا يبطل الصلاة ، **وإنما يبطلها التكلم بذلك . فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام** .

وأيضا : ففي ( ( الصحيحين ) ) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله تجاوز

---

21 وبهذا تتأكد صحة قول جميع العقلاء فضلا عن العلماء أن الأخرس بإشارته ليفهم الناس ليس متكلما ، قال العلامة ابن أبي العز في رده على الأشاعرة القائلين بالكلام النفسي :" ...إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه **وإن لم ينطق به ولم يسمع منه** ... " اهـ شرح الطحاوية (ص 184) ، قلت : وهو إلزام قوي لمن تأمله .

22 قال الألباني رحمه الله : مسلم وغيره من حديث معاوية بن الحكم "صحيح أبي داود " (862) والإرواء (390)

23 قال الألباني رحمه الله : النسائي وغيره بسند حسن وعلقه البخاري مجزوما به " صحيح أبي داود" (857)

لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به"[24] فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد : **حتى ينطق به اللسان** ، **باتفاق العلماء** ، **فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة ، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب .**

وأيضا ففي السنن : أن معاذا رضي الله عنه قال : "يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : "وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[25] **فتبين أن الكلام إنما هو باللسان** . فلفظ "القول" و"الكلام" وما تصرف منهما ، من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل – : **إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى . ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع ، ثم انتشر . ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما – ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر[26]، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه ، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل ونحو ذلك**".أهـ

- **الفرق بين الكلام والقول :**

لابد أن يعلم صحة إطلاق لفظ القول على الإشارة وغيرها مما ليس نطقا وقد قامت الأدلة على ذلك فمنها مثلا ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه في

---

24 قال الألباني رحمه الله: متفق عليه من حديث أبي هريرة " إرواء الغليل (2062)

25 قال الألباني رحمه الله :" رواه الترمذي وغيره بسند فيه انقطاع وقد بين ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الأربعين بيانا شافيا فليراجعه من شاء

26 يريد بذلك الرد على من زعم صحة نسبة الكلام النفسي لله عزوجل مستدلا على ذاك الزعم الباطل ببيت مختلق مصنوع منسوب للأخطل النصراني وعلى تقدير صحة النسبة المزعومة فلايجوز الاستدلال به لموانع كثيرة مبسوطة في مواضعها وانظر غير ملزم على سبيل المثال لا الحصر شرح الطحاوية ص 186 لابن أبي العز ـ رحمه الله ـ وما بعدها .

صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم :"قال **يقول جابر بيده** ،( قال الراوي ): كأني أنظر **إلى قوله بيده يحركها** ،[قالوا كيف يجعلها متعة وقد سمينا الحج ؟ :خ م ]"وفيه أيضا (أي حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم):" ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم(وفي رواية:أفاض وعليه السكينة : د ن مج ) وقد شنق للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مَوْرِك رحله **ويقول بيده اليمنى** [هكذا: **وأشار بباطن كفه إلى السماء**:ن]أيها الناس السكينةَ السكينةَ "حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها جابر رضي الله عنه للإمام الألباني رحمه الله (ص 65 ـ 75 ).

وبهذا يتبين أن كل كلام قول وليس كل قول كلاما ، فلا يقتصر على تعريف القول بأنه: " اللفظ الدال على معنى "،لدخول غير اللفظ في مسمى القول[27].والله أعلم

- **تتمة لابد منها :**

بعدما تبين أن ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان وما كان عليه الأولون من أهل اللغة وما عليه الآخرون منهم أيضا من أن الكلام لابد أن يكون **نطقا باللسان مشتملا على حرف وصوت (لفظ)** وأن ما عدا ذلك من التعريفات هو مما وضعه أهل البدع ليتوصلوا به إلى نفي الصوت والحرف عن كلام رب العالمين عزوجل فهل يكون :

- **الأمر بالشيء نهيا عن ضده ؟**

[27] قال الشيخ كنتوش العدني في أخطاء اللغويين والنحويين في العقيدة ص 72 بعدما ساق الأدلة الكثيرة القاطعة في التفريق بين الكلام والقول :" فتلخص مما سبق إطلاق القول على ما ليس بكلام بدليل التفريق بين الكلام والإشارة والرمز وإطلاق لفظ القول على غير الكلام ، تأمل " .

الأمر بالشيء نهي عن ضده مبحث أصولي عقائدي فقهي[28] جلل جليل ماتع مفيد تناوله علماء الأمة بالشرح والتفصيل ودقة التعليل ، ومع ذلك زلت فيه أقدام وأقلام كثيرين من أشاعرة ومعتزلة[29] ومتكلمين وغيرهم .

ولْيُعلم أن القول بأن الأمر بالشيء نهي عن ضده من " **المسائل التي فيها النار تحت الرماد** "[30]كما حرر وقرر ذلك علامة عصره وفريد دهره محمد الأمين الشنقيطي في كتابه المستطاب المذكرة على الروضة وبيّن البيان الجلي الشافي من أن "أصل هذا الكلام [الأمر بالشيء نهي عن ضده ] مبني على زعم باطل وهو أن كلام الله مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الحروف والألفاظ لأن هذا القول الباطل يقتضي أن ألفاظ كلمات القرآن بحروفها لم يتكلم بها رب السموات والأرض وبطلان ذلك واضح " (المذكرة ص 27)

---

28 أما أنه أصولي فلأنه الأصل فما من ناظر متبحر في باب الأحكام التكليفية وباب الأمر إلا وتناول هذه القاعدة بالشرح والتفصيل ولا أدل على ذلك مما جاد به العلامة الأمين في المذكرة

وأما أنه عقائدي فما من باحث متوسع أيضا في مباحث الكلام (كلام رب العالمين ) واختلاف طوائف الأمة فيه إلا وطرق مبحث الكلام النفسي الباطل ونكتفي في بيان ذلك بعبارة الأمين رحمه الله القاضية بأن هذا من مباحث العقيدة وهي قوله أنها :" **من المسائل التي فيها النار تحت الرماد** " المذكرة (ص 27)

وأما أنه فقهي فلأن الكثير من المسائل والأحكام الفقهية العملية مبنية على هذه القاعدة ، قال الأمين في المذكرة (ص 27) ما نصه :" ... ومن المسائل المبنية عليها ـ أيضاً ـ ما لو سرق المصلي في صلاته، أو لبس حريراً، أو نظر محرما،فعلى أن الأمر بالشيء نهي عن ضده فيكون الأمر بالصلاة هو عين النهي عن السرقة مثلا فتبطل الصلاة، بناء على أن النهي يستلزم الفساد، فعين السرقة منهي عنها في الصلاة بنفس الأمر بالصلاة، فعلى أن النهي يقتضي الفساد فالصلاة باطلة".اهـ

وهل هو مبحث لغوي ؟ لاشك في ذلك لدلالة الألفاظ على المعاني في كل كلام العرب والله أعلم .

29 القائلين بأن الأمر بالشيء ليس هو عين النهي عن ضده ولا يتضمنه لأن الآمر عندهم قد يكون وقت الأمر ذاهلا عن ضده وقد أبطل الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى هذا المذهب بحجة قوية من شاء الوقوف عليها فليراجع المذكرة على الروضة (ص 28)

30 المذكرة للعلامة الشنقيطي (ص 27)

- **بالمثال يتضح المقال :**

قول الأمين ـ رحمه الله تعالى ـ :"وبطلان ذلك واضح " لأن القائلين بهذه القاعدة " الأمر بالشيء نهي عن ضده " قسموا الكلام ومنه الأمر إلى قسمين : نفسي ولفظي وبقطعهم النظر عن الصيغة المتكلم بها واعتقادهم الكلام النفسي القائم بالذات المجرد عن الصيغة قالوا قولك مثلا : **لزيد قم** هو عين **قولك له : اترك القعود** والأمر ليس كذلك لأن متعلق الأمر طلب ومتعلق النهي ترك فأمرك لزيد بالقيام يستلزم نهيك له عن القعود لا هو عين النهي عن القعود لأنك لم تتلفظ بالنهي **ولذلك قال أهل السنة الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده لا هو عين النهي عن ضده.**

قال الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ في المذكرة :" أن الأمر بالشيء ليس عين النهي عن ضده، **ولكنه يستلزمه ، وهذا هو أظهر الأقوال** ، لأن قولك اسكن مثلا يستلزم نهيك عن الحركة ، لأن المأمور به لا يمكن وجوده مع التلبس بضده لاستحالة اجتماع الضدين وما لا يتم الواجب إلا به واجب[31] ـ كما تقدم ـ وعلى هذا القول أكثرُ أصحاب مالك ، وإليه رجع الباقلاني [رحمه الله] في آخر مصنفاته وكان يقول بالأول" أي (الأمر بالشيء نهي عن ضده).

فتلخص من كلام العلامة الأمين ـ رحمه الله ـ أن القواعد ثلاث :

---

31 **قاعدة** : " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ليست على إطلاقها بل فيها تفصيل بديع للعلامة الأمين ـ رحمه الله ـ خلاصته أن هذه القاعدة نشأت عنها من دقة وإبداع الأمين قاعدتان اثنتان :

أ ـ **ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب** كالطهارة للصلاة .

ب ـ **ما لا يتم الواجب المعلق إلا به فهو ليس بواجب** كالنصاب للزكاة .

وتوضيح ذلك وبيانه : أن المسلم مأمور بالطهارة للصلاة غير مأمور بتحصيل النصاب في الزكاة فإن وجد النصاب وتحقق مع شروط أخرى أمر بأداء الزكاة وإلا فلا . والله أعلم

1. الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وهو أظهر الأقوال كما قرّر الأمين ـ رحمه الله تعالى ـ
2. الأمر بالشيء نهي عن ضده وهو قول الأشاعرة وفيه قال الإمام العلامة الأمين الشنقيطي هو : " **من المسائل التي فيها النار تحت الرماد** " .
3. الأمر بالشيء ليس هو عين النهي عن ضده ولا يتضمنه وهو قول المعتزلة .

- **تصريح صريح :**

وما انتهى إليه الأمين رحمه الله من زعم الأشاعرة الباطل الذي يقتضي أن ألفاظ كلمات القرآن بحروفهالم يتكلم بها رب السموات والأرض هو عين ما صرح به الإيجي ـ رحمه الله ـ حيث قال :" قالت المعتزلة أصوات وحروف يخلقها الله في غيره ـ يعني كلام الله ـ كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي صلى الله عليه وسلم وهو حادث وهذا لا ننكره لكن نثبت أمرا وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ونزعم أنه غير العبارات ..." [المواقف (ص 294) بواسطة أخطاء النحويين واللغويين في العقيدة (ص 105)]

كما أنه عين ما صرح به ـ أيضا ـ الشيخ أبو الحسن علي المالكي الشاذلي ـ رحمه الله ـ في المقدمة العزّية وشارحها الشيخ عبد المجيد الشربوني الأزهري حيث قالا عليهما ـ رحمة الله ـ : " قال أبو الحسن الشاذلي:(**متكلم بكلام** ) قال الشارح :وكلامه ليس بصوت ولا لسان بل هو منزه عن مشابهة الحوادث فقف عند حدك أيها الإنسان " (ص 158) وقالا أيضا (ص 160) :" قال أبو الحسن الشاذلي: (**وأن كلام الله** ) قال الشارح :أي النفسي قال أبو الحسن الشاذلي:(**مقروء** ) أي باعتبار الألفاظ الدالة عليه قال أبو الحسن الشاذلي:(**مكتوب في المصاحف**) قال الشارح:" أي باعتبار النقوش الدالة على الألفاظ الدالة عليه ، والتحقيق في كيفية نزول القرآن أن الله تعالى إذا أراد إنزال سورة أو آية نظر بصفة العلم في قلب جبريل فحصل فيه علم ضروري ثم نظر بصفة

الكلام ففتق لسانه على ألفاظ القرآن مع النظم فأنزله على النبي صلى الله عليه وسلم فالناظم له في الحقيقة هو الله تعالى حيث فتق به لسان جبريل ، واعلم أن القرآن يطلق بالاشتراك على معنيين : أحدهما : الكلام القائم بالذات الأقدس والثاني : اللفظ المنزل ووجه تسميته كلام الله بالمعنى الأول أنه صفة الله تعالى وبالمعنى الثاني أنه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله سبحانه {بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ} أو بحروفه في لسان الملك".اهـ

قلت : فكلام الله عزوجل على ما قرره الشارح ـ رحمه الله ـ تلفظ به جبريل وأما الله عزوجل فلم يتلفظ به فلا الصوت ولا الحرف منه عزّوجلّ بل هو المعنى القائم بالنفس لا غير، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

- **زيادة توضيح :**

وللتوضيح أكثر رأيت أن أنقل كلام العلامة ابن قدامة ـ رحمه الله ـ الذي جمع فيه بين ضابط الكلام عند اللغويين وبين رد ودحض بدعة الكلام النفسي عند الأشاعرة لدقته ونفاسته ، قال في روضة الناظر( 82/2 ـ 84 ) في مبحث الأمر: " وزعمت فرقة من المبتدعة أنه لاصيغة للأمر، بناء على خيالهم أن الكلام معنى قائم بالنفس، **فخالفوا الكتاب والسنة وأهل اللغة والعرف** ، أما الكتاب فإن الله تعالى قال لزكريا : { آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيّاً } [مريم : 10-11].

**فلم يسم إشارته إليهم كلاماً**. وقال لمريم : { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً } [مريم:26]. فالحجة فيه مثل الحجة في الأول.

وأما السنة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عفا لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أوتعمل به) ، وقال لمعاذ : ( أمسك عليك لسانك ) قال وإنا لمؤاخذون بما

نقول ؟ ، قال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ) وقال :(إذا قال الإمام : {ولا الضالين} ، فقولوا: آمين) . ولم يرد بذلك ما في النفس. **وأما أهل اللسان فإنهم اتفقوا عن آخرهم على أن الكلام : اسم وفعل وحرف**. واتفق الفقهاء بأجمعهم على أن من حلف لا يتكلم فحدث نفسه بشيء دون أن ينطق بلسانه لم يحنث ، ولو نطق حنث ، **وأهل العرف كلهم يسمون الناطق متكلماً ومن عداه ساكتاً أو أخرس.**

**ومن خالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم فلا يعتد بخلافه** " اهـ والله أعلم.

- **رد مفحم وإلزام قوي :**

ومن درر العلم التي استفدتها من الإمام الألباني ـ رحمه الله ـ وجعل الجنة مثواه قوله في معرض رده على فرية الكلام النفسي :" لست أدري ماذا يقول الأشاعرة ومن سار على نهجهم في قول ربنا عزّ وجلّ مخاطبا كليمه موسى صلى الله عليه وسلم { وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى} **فهل الكلام النفسي يسمع** ؟ "والجواب نتركه للأشاعرة ومن سار على نهجهم **!؟** .

- **من طرائف أعلام السنة وعلمائها :**

قال الشيخ أحمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي في "اللالئ البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية " (ص 112) :" **نكتة** : حكي أن شيخ الإسلام ابن تيمية مر على أبي حامد

الإسفرائيني[32] ولم يسلم عليه فقال الاسفرائيني لم لا تسلم ؟ فقال قد سلمت في نفسي لأن من لازم مذهبك القول بذلك فتعجب منه "اهـ

قال محقق الرسالة إِياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القسيّ :" هذه الحادثة ليست عن شيخ الإسلام وإنما نقلها السبكي في طبقات الشافعية (184/8) عندما مر عبد الرحمن ابن عساكر[33] بالموفق بن قدامة المقدسي فسلم عليه فلم يرد الموفق عليه السلام فسئل عن سبب امتناعه عن ذلك ؟ فقال : إنه يقول بالكلام النفسي وأنا أرد عليه في نفسي ".اهـ

**قال ناقل الطريفة ـ** عفا الله عنه ـ والله أعلم أي القصتين صحت عن ذينك الإمامين عليهما رحمة الله .

- **فك إشكال وتوضيح غامض :**

وبهذا إن شاء الله تعالى يزول الإشكال ويتضح الحق وينجلي الضباب والغمام الذي حاك في صدور بعض طلاب العلم من أن الأشاعرة يثبتون كثيرا من صفات رب العالمين كـ : صفة الكلام وصفة التجلي وغيرهما من الصفات فكيف يقال بل يذاع في أوساط المسلمين بأنهم محرفة[34] مؤولة فأقول وبالله التوفيق:

---

[32] أبو حامد الإسفرائيني المشهور هو أحمد بن أبي الطاهر الإسفرائيني البغدادي شيخ الشافعية في وقته روى الحديث عن الدارقطني وأخذ عنه أئمة كبار ، واعتبره ابن الصلاح مجدد القرن الرابع هجري توفي سنة 406 هـ ينظر طبقات الشافعية ابن كثير 1/ 346

وشيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة 728 هـ فبين الرجلين أكثر من ثلاثة قرون فالله أعلم من يكون أبو حامد الإسفرائيني هذا صاحب القصة مع ابن تيمية .

[33] ابن عساكر هو فخر الدين أبو منصور ابن عساكر (ت 620 هـ) وليس صاحب تاريخ دمشق أبو القاسم (ت 571 هـ)

[34] والتعبير بالتحريف أولى من التعبير بالتأويل قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" فإن استعمال التحريف فيمن خالفوا طريق السلف أليق من استعمال التأويل " اهـ ، لوجوه كثيرة ذكرها في شرحه على الواسطية(ص 69)

مما استفدته من العلامة الجليل محمد بن صالح العثيمين أن في كيفية إثبات الصفات بينهم أي ( الأشاعرة ) وبين أهل السنة خلافا ، فأهل السنة يثبتون الصفات مع تفادي أصول الانحراف الأربعة المذكورة في أبواب الأسماء والصفات وهي **التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل**[35] والأشاعرة على خلاف ذلك ودونك البيان مع التمثيل بالصفتين المذكورتين آنفا :

**1 ـ صفة الكلام** : مر بنا أن الأشاعرة لا يثبتون صفة الكلام على الوجه الصحيح المطلوب شرعا بل يقولون بالكلام النفسي فهم لا يثبتون اللفظ والصوت لله رب العالمين سبحانه وتعالى كما هو المعتقد السليم الذي عليه أهل السنة ـ جعلنا الله منهم ـ ومن تبعهم بإحسان .

وأما أهل السنة فقولهم في صفة الكلام كما هو مبسوط في مقالاتهم ومدون في كتبهم على مر العصور منذ وقوع البلية ونجوم الفتنة بين فرق الأمة واضح في أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق كما تزعم المعتزلة بل هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى تكلم به حقيقة بلفظ وصوت كما أنه ليس المعنى القائم بالنفس كما تزعم الأشاعرة قال شيخ الإسلام رحمه الله في عقيدة أهل السنة والجماعة المعروفة بالواسطية :"فَصْلٌ:ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ،وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره .

ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله ، أو عبارة ؛ بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما

---

[35] ـ **التحريف** هو : تغيير لفظ النص أو معناه ـ **التعطيل** هو:إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات

ـ **التكييف** هو:تعيين كنه الصفة الإلهية والمراد بالكنه حقيقتها ـ **التمثيل** هو : تعيين كنه الصفة الإلهية بذكر المثال

يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا ، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا وهو كلام الله ؛ حروفه ، ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف "اهـ.

وهذا كلام نفيس عزيز غزير المنفعة من شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ جامع مانع فيه لمن أراد معرفة المعتقد الصحيح معتقد أهل السنة في صفة الكلام مع الرد على جميع طوائف الأمة التي ضلت في مسألة الكلام من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وكلابية وواقفة ولفظية وصوفية حلولية وغيرهم من أهل الضلال ومن شاء الوقوف على ذلك والتأكد مما ذكر فليرجع إلى شروحات الواسطية وهي كثيرة كثيرة متوافرة متوفرة وغيرها من كتب المعتقد الصحيح معتقد أهل السنة السليم . والله أعلم

**2 ـ صفة التجلي** : أي أن الله يتجلى لعباده المؤمنين فيرونه سبحانه وتعالى يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر ليس المرئيُّ كالمرئيِّ بل الرؤية كالرؤية ولابد أن نفرق هنا بين صفة التجلي وبين الرؤية فالتجلي صفة للخالق سبحانه وتعالى كما ثبت في صحيح مسلم مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" فيتجلى لهم يضحك " أي الله سبحانه وتعالى[36] ، والرؤية صفة للمخلوق أي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة وأهل السنة ـ جعلنا الله منهم ـ يثبتون صفة التجلي مع تفادي أصول الانحراف الأربعة المذكورة في أبواب الأسماء والصفات وهي **التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل** وأما الأشاعرة فيثبتون رؤية المؤمنين لربهم لكن **لا في جهة وبلا كيف ولا انحصار** جاء في المقدمة العزّية وشرحها لأبي الحسن الشاذلي وشارحها الشرنوبي :ص :(يراه المؤمنون) ش :(بلا كيف ولا انحصار فإننا كما نعلمه لا في جهة[37] ، نراه لا في جهة واستلزام رؤية الشيء أن يكون في جهة إنما هو استلزام عادي يجوز تخلفه ) اهـ

---

36 ومن شاء التوسع أكثر فليرجع إلى تعليقات العلامة العصيمي – حفظه الله ورعاه – على العقيدة الواسطية

37 وهذا نفي لصفة العلو كما أنهم ينفونها في الدنيا نفوها في الآخرة عياذا بالله تعالى

فقول من يقول إن الأشاعرة يثبتون الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني المجموعة في قول القائل :

حي عليم قدير والكلام له       إرادة وكذاك السمع والبصر[38]

أو قول الآخر :

له الحياة والكلام والبصر       سمع إرادة وعلم واقتدر

فنقول نعم يثبتونها لكن في كيفية إثباتها خلاف بينهم وبين أهل السنة فأهل السنة يثبتونها على الوجه الصحيح وهم وإن أثبتوها فعلى الوجه البدعي الباطل الفاسد كما مر بنا مع التمثيل والله أعلم

---

38 والمتأخرون منهم يثبتون عشرين صفة فقط يقول عبد المجيد الأزهري الشرنوبي :

فهذه عقــائد التوحيــــــد       تنجو بها من ربقة التقليـــــــد

فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفة       تكـــــن بها في غرفة مزخرفة

له الوجود والبقاء والقـدم       مخـــــالف لما يناله العدم....الخ

- **خاتمة**

وبهذا يتبين أن الكلام عند أهل السنة وعند الأولين والآخرين من أهل اللغة نطق مفهم باللسان كما صرح بذلك الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية وابن فارس في مقاييس اللغة وابن قدامة في الروضة وغيرهم ، ومع ذلك لا أدعي أنني قتلت المسألة بحثا أو أحطت بها فهما ولكن جهد المقل لا غير ، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بما سطّر القلم وأن يحفظني من الخلط والتخبط والزلل والقول على الله بغير علم ، ومن شر كل حاسد وظالم ، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم كما أسأله سبحانه وتعالى أن يقيِّض من أهل العلم من يتوسع في بحث الموضوع وبيانه وتجليته غضا طريا وما ذلك على الله بعزيز ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . والله أعلم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

**تمت الرسالة بعون الله وحسن توفيقه**

**على يد جامعه لنفسه ولمن شاء الله من خلقه**

**أبو عبد الرحمن أبو بكر بن أحمد بن سعد جارف**

**ـ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ـ**

**في غرة ربيع الآخر عام تسعة وثلاثين بعد الأربعمائة وألف**

**بمدينة سطيف حفظها الله دارا للإسلام والسنة**